

اتصف الأمير عبد الرحمن الناصر بصفات حسنة وحميدة حيث استقبل مجتمع الأندلس خبر توليه الحكم بارتياح لأنه كان يحمل خطة ومشروعاً لإقامة دولة ناجحة باتباع أسلوب الحزم والعزم وتوحيد كلمة المسلمين. أعلن الأمير الخلافة في الأندلس في عام (٣١٦هـ / ٩٢٩م) وتلقب بأمر المؤمنين والناصر لدين الله فأضفى على دولته صبغة دينية وسياسية منافساً لها المشرق الإسلامي .

أهم أسباب إعلان الخلافة في الأندلس:

- ١- تدهور أوضاع الخلافة العباسية في المشرق وهيمنة الأتراك عليها.
 - ٢- استجابة لرغبة أهل الأندلس في أن يكون حاكمهم خليفة للمسلمين .
 - ٣- منافسة الخلافة الفاطمية في المغرب ومصر .
 - ٤- لإظهار قوة دولة الأندلس بعد التغيرات التي طرأت عليها .
 - ٥- انتصار الأمير عبد الرحمن الناصر على الثوار المتمردين وسيطرته على البلاد وإنهاء حالة الفوضى والاضطرابات .
- فكانت هنالك ثلاثة خلافت في العالم الإسلامي :

أ. الخلافة العباسية في المشرق .

ب. الخلافة الفاطمية في الشمال الأفريقي .

ج. الخلافة الأموية في الأندلس .

شهدت الأندلس في عصره التعايش السلمي بين مكونات المجتمع بدون تمييز من خلال ترميمه دور العبادة للنصارى واليهود مؤكداً في ذلك الوحدة الوطنية وبناء مجتمع قوي متماسك، كان هدف الخليفة عبد الرحمن الناصر عند توليه حكم الأندلس القضاء على الثورات والفتن الداخلية من خلال تنبيه المجتمع الأندلسي للخطر الإسباني الذي يهدد أمن الجميع لذلك انطفت وأخمدت بل انضمت تلك القوة الخارجة على سلطة دولة الأندلس إلى جيش المسلمين لمحاربة العدو المشترك، وبذلك انحصرت التمردات الداخلية بمجابهة الأخطار الخارجية . فقد وصفت سنوات حكمه بـ "...اتساع ملكه، وقوة سلطانه، واقبال دولته، وحمود نار الفتنة على اضطرامها بكل جهة، وانقياد العصاة لطاعته..."

اتبع الخليفة عبد الرحمن الناصر سياسة الاحترام والتبادل الدبلوماسي مع الممالك الإسبانية والدول المجاورة بتبادل السفارات والهدايا، وهذا دليل ما وصلت إليه الأندلس من الرقي الحضاري والتطور العلمي والاستقرار السياسي والاقتصادي والتنوع الاجتماعي والتفوق العسكري لجيش المسلمين . سيطر الخليفة على الأوضاع الداخلية إدارياً باتباع سياسة إعادة الهيكلة للدولة بتعيين أهل الخبرة بغض النظر عن دينه وقوميته سواء كان مسلماً أم مسيحياً، عربياً أم بربرياً، وعمل نظام الرقابة ، وسمح بالنقد الذاتي داخل المجتمع الأندلسي.

لم يتوقف الخليفة خلال حكمه عن الغزوات بنفسه التي حقق فيها انتصارات كبيرة على الممالك الإسبانية بحملات الصوافي والشواتي عدا (معركة الخندق)، عرفت هذه المعركة بـ غزوة الخندق أو الوقعة الشهيرة وتسميها المصادر الإسبانية بـ غزوة القدرة. إن تسميتها بالخندق يعود لوقوعها تحت أسوار المدينة التي حدثت فيها المعركة ووقعها على خنادقها، وبعض المؤرخين لم يُسمها بل أشار إليها في أثناء حديثه عن المعركة بالخندق. وبعضهم تجاهلها ولم يذكر هذه المعركة بل أشار إلى معركة أخرى هي (وقعة ارتقيرة)، وبقي ذكر هذه المعركة طويلاً بالأندلس حتى أنهم كانوا يذكرون السنة التي حدثت فيها المعركة بـ (سنة الخندق). اختلفت الآراء حول تحديد موقع المعركة بعضهم يجعلها في داخل المدينة وبعضهم يؤكد وقوعها خارج المدينة والبعض الآخر ينسبها إلى مدينة أخرى ؛ غير أن المصادر الإسبانية أشارت إلى وقوع المعركة ضمن الأراضي القشتالية والارغونية تحديداً في مدينة (سيانكا) .

أما المصادر العربية فأكدت وقوع المعركة في مدينة (سمورة) فهي مركز مملكة ليون أو ضمن حدودها يحيط بها سبعة أسوار شاهقة البنيان من البناء الضخم وبين الأسوار خنادق متسعة تفيض بالماء فافتتح المسلمون سورين منها.

المصادر : الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، الطبعة الثانية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة - مصر، ٢٠٠٨ م .